وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ 2009/4/17م

اختبارُ الله سبحانه وتعالى لعباده في هذه الدار، دار الدنيا، أنه زَيَّن لهم غير الزَّين، وحينما وقف الإنسان أمام هذا الاختبار اندفع بعضهم إلى هذا المُزيَّن اندفاعًا أعمى، وتنبّه بعض الناس لتنبيه الله سبحانه وتعالى إلى أنه اختبار، فتنبّه إلى الآيات القرآنية التي أخبر بها ربنا تبارك وتعالى عن الحُسْن المنتظر والزينة الحقيقية المُخبّأة، فكان حالُ أهل المادة الانبهارَ بالمُزيَّن وهو في نفسه قبيح، وحالُ أهل الإيمان الالتفاتَ عن المُزيَّن إلى الزين الذي هو ما أعدّه الله سبحانه وتعالى للبشر في دار الكرامة.

نعم، إنه سبحانه وتعالى أيّد خاصة أحبابه فزيَّن لهم غير الحِس، إذ زيّن لهم المعنى.. وزيّن لهم الأنوار.. وزيّن لهم الإيمان.. فأبصرت قلوبهم حينما صفت وزال عن بصيرتها الغطاء الزين من المعاني.

تعالوا بنا نقرأ بعض النصوص القرآنية التي تتحدّث عن هذين الأمرين: الأول الذي هو اختبار الله تعالى للإنسان بتزيين غير الزين له، وغيرُ الزين هو الشَّين أو القبيح، لكنه زُيِّن.

ومن هذا قولُه تبارك وتعالى:

- { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ } أي ما تطلبه الغرائز، فكل ما تطلبه الغرائز يندفع الإنسان إليه بقوة لأنه يراه مُزيَّنًا، والشهواتُ: الرغباتُ التي تتصف النفوس بها والغرائز.

- { مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ } والبنين ثمرةٌ للاندفاع الغريزيّ إلى النساء.

- { وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ } وهي البيئة التي يحلم الإنسان أن يكون فيها مع النساء والبنين.

- { وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ } وقد أسلفنا فيما مضى أن الأصل اللغوي للخيل: ما يُختال به، فإذا كان العرب في الماضي يختالون بالحصان، فإن الأصل اللغوي للكلمة ينسحب على كل ما يُختال به، وحينما يتعلق الإنسان بما يُختال به يندفع وراء رغباته النفسانية.

- { وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ } والأنعام والحرث هما المصدر الغذائي للإنسان، وكم من الناس اليومَ من يعيشون من أجل أن يأكلوا، ولا يأكلون من أجل أن يعيشوا.

وكم من الناس اليوم من يجعلون مقصود عيشهم أن يأكلوا، وكلما تلوّنت أنواع الطعام شعروا أنهم بهذا التلوين يحققون مقاصد حياتهم!

ومن الناس من يأكلون ليعيشوا، لأنهم علموا أن الطعام داعم للمعاش الإنسانيّ.

- ثم يقول الله سبحانه وتعالى مُنبِّهًا: { ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } أي: إنها متعة مؤقتة زائلة، فالإشباع الغريزي يحصل، وما يحيط به من طعام وشراب وزينة وخيلاء سرعان ما يزول بريقُه.

{ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } هي المتعة المؤقتة الزائلة.

{ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } [آل عمران: 14].

ولاحظوا هاتين العبارتين: العبارة الأولى: { زُيِّنَ } ، والعبارة الثانية: { حُسْنُ } .

وفرقٌ كبير بين ما يُزيَّن وبين الحَسَن، وما سمى العرب الغانية غانية إلا للتي استغنت عن الزينة، فـإذا استغنت بجمالها عن الزينة قالوا: هي غانية.

إذًا: قال تعالى: { وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } وما قال: والله عنده مُزيَّن آخر.

{ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } فالمرجع إلى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة إنما هو عند أهـل الإيمـان مرجعٌ إلى الحُسْن، وينتقل الإنسان من المُزيَّن إلى الحسن، فإن أعرض عن المُزيَّن مستفيدًا مـن تنبيـه الله سبحانه وتعالى له، وعَلَّق قلبه بالحَسَن، كان في حُسن المآب، لأنه: { وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ } .

ثم يقول الله لحبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

- { قُلْ } ويخاطب بهذا البشرية كلها.

- { أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ } ألا تريدون أن تعرفوا ما هو خير من كل هذا، وما هو خير من هذه المُتع الزائلة الفانية المؤقَّتَة التي ليس لها دوام؟

- { لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } [آل عمران: 15]

فشرح وفصّل الحُسْن المُنتظَر بعد أن نبَّه إلى المُزيَّن.

ومن تنبيهه سبحانه وتعالى إلى المُزيَّن قوله سبحانه:

{ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [التوبة: 37] فأعمالهم سيئة، لكنهم مع قبحها يرونها في منظرها القبيح حسنة، فهم يشهدون قبحها حُسنًا، وما هذا إلا سر الاختبار في { زُيِّنَ } .

وقال سبحانه:

- { وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ } فقد كان يُذبِّح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وكان يرى ذلك حسنًا، وكان يرى دعوة موسى إلى الله إفسادًا، وهو الذي قال لقومه: { إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } [غافر: 26] فرأى ما هو حَسَنٌ قبيحًا، ورأى أقبح القبيح حَسَنًا، وهذا سرٌّ من أسرار { زُيِّنَ } .

- { وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ } [غافر: 37].

ونقرأ قوله تعالى:

- { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ } [الأنفال: 48].

فهذه نصوص تشير إلى تزيين الحِس، سواء كان هذا الحِس متعة شهوانية، أم كان عملاً تهواه النفوس وتتوهم أنه حَسَن، لأنها لا ترجع إلى ميزان الحُسن والقبح.

وقد اتفق العلماء رضي الله عنهم على أن الحُسن والقبح مفهومان شرعيان، فلا يقال عن شيء: (إنه حسن) إلا إذا حسّنته الشريعة، ولا يقال عن شيء: (إنه قبيح) إلا إذا قبَّحته الشريعة.

واليومَ كم من أمرٍ حسَّنتْه الشريعة يقول كثير من الناس عنه: إنه قبيح، وكم من أمرٍ قبَّحته الشريعة يقول الناس عنه: إنه حسن.

نعم، حصل اختلاط حينما أصبح الإنسان منجذبًا إلى الحِس المُزيَّن وأعرض عن المعنى الحَسَن.

فإذا زيَّن الله سبحانه وتعالى لعبدٍ من عباده الحَسن المعنويّ فإن ذلك يندرج في التأييد والتوفيق، وما هو إلا من مِنّة الله سبحانه وتعالى وكرمه على عبده.

واقرؤوا نموذجًا من النصوص القرآنية التي يشير فيها سبحانه إلى تأييد عباده بهذا التزيين، لأنه ما زيَّن القبيح، ولكنه زيَّن الحَسن حتى تتحرك القلوب إليه.

ومن ذلك قوله تعالى: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ } [الحجرات: 7]

مع أنكم تجدون في طريق الإيمان الأشواكَ وهي مُحبَّبة إليكم..

ومع أنكم تجدون في طريق الإيمان المصاعبَ وهي مُحبَّبة إليكم..

ومع أنكم تجدون في طريق الإيمان العوائقَ وهي مُحبَّبة إليكم..

ومع أنكم تجدون في طريق الإيمان الإيذاءَ وهو مُحبَّب إليكم..

ألم يقل ذلك الصحابي وهو يُطعَن: **"فُزت وربّ الكعبة"**؟

إنه سِرٌّ: { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ } .

وشتان بين أولئك الذين تعلّقوا بالمحسوس المُزيَّن، والذين تعلّقوا بالغيب وأحبوا ذلك الغيب.

أقبل صحابيٌّ مجاهدًا في سبيل الله مُقبِلاً على الله راغبًا في الشهادة، فلما صفت عين بصيرته انكشفت له الغيوب، فقال يُخاطب نفسه:

أحسِنْ بمولاكَ سعيدُ ظنًّا   هذا الذي كنتَ له تمنّى

ها هي الغيوب التي صدَّقْتَ بها قد كُشفت لك..

وها هو مقعدُك في الجنة قد ظهر لك..

وها هي الجنة قد تبرَّجت أمامك... فلا تلتفت إلى ذلك المُزيَّن المحسوس.

فتبرَّجت الحور العين أمامه، وخرجت تنتظره مُهلِّلة ومُتهلِّلَة، فقال لها مخاطبًا في ذلك المشهد الغيبيّ:

إليكِ يا حورَ الجِنان عنّا   ما لكِ قاتلنا ولا قوتلنا

إنّا إلى إلهكنّ اشتقنا   قد علم السرَّ وما أخفينا

هذا هو حال الذين زُيِّن في قلوبهم الإيمان.

أما أولئك الذين يُبكى عليهم، الذين { يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ } [الروم: 7]، فحالهم يُبكى عليه مهما تمتعوا بمتعهم.

إنهم تمسكوا بالقبيح وأعرضوا عن الحَسن، وشتان شتان..

واللهِ، إن تلك اللذّة التي عاشها السَّحَرة وهم يُصلَّبون على جذوع النخل كانت تفوق ما كان يشعر به فرعون من لذّة المُلك ومتعته وبريق ذهبه.

كانت اللذّة التي يعيشها أولئك تتفوق بكثير على متعة المُلك التي كان يعيشها فرعون، لذلك تفوّق السحرة على فرعون وقالوا: { لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا } [طه: 72].

أين هذا الجيل الذي يتحرك في الظاهر بالعمل، لكن قلبه مُتعلّق بالغيب؟

أين هذا الجيل التي يتربّى مُتعلِقًا بالله، فيتحرك في الدنيا في سلوكه الحسن في عبادته ومعاملته، لكنه يتفوّق على سواه بمقاصده وبتعلُّقات باطنه؟

الدنيا قَسْمٌ أزليّ لا يستحق الفرح، والذين يفرحون بالمحسوس المُزيَّن بُلَهاء.

وقال الله سبحانه:

- { فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ } أي أعطاه شيئًا من متعة الدنيا.

- { فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ } يتوهم أن هذا من إكرام الله له.

- { وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ } فالحالتان اختبار وابتلاء: أن تَكثر الدنيا عليك أو تقل، إنما هما حالتا اختبار.

- { وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ }

- { كَلاَّ } فالمعادلة ليست كما يتوهم هذا الصنف وذاك، إنما هي مبنيّة على نجاحك في التكليف.

- { بَل لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلا لَمًّا ، وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } [الفجر: 15-20] فأنتم تنحرفون عن التكليف وتتوهمون أن الله تبارك وتعالى يكـــرمكم بالدنيا، لا، فصاحب الكرامة هو الذي أكرمه الله برضوانه: { اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقَدِرُ } إنها قضية تابعة لمشيئة الله ولقسمه في الأزل، { وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ } [الرعد: 26] أي: الدنيا كلها في جنب الآخرة متعة زائلة.

وقال الله سبحانه:

- { إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ } وقد كرَّر القرآن في هذه السورة كثيرًا ذِكر القوم، حتى نفهم أن النسبة إلى القومية لا تكفي، فمؤمنٌ من آل فرعون يثني عليه الله، ومُسرِفٌ من قوم موسى يذمُّه الله: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } [الحجرات: 13]

وما فرَّق الأمة الإسلامية إلاَّ أكاذيبُ القوميات، عندما هيأ اليهود ما كان يُسمى بالاتحاد والترقّــي، الذين تحدثوا بالقومية التركية، وأثاروا النـــزعات التي تفخر بالقوميات وتنسى الرسالة الكبيرة التي جاء بها نبي الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم، الذي قال للبشرية: **(إن ربّكم واحد، وإن أباكم واحد)**.

الرسالة التي جاء بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قالت للبشرية: **ربّكم واحد وأبوكم واحد**، لا يوجد تفريق بين دول الشمال والجنوب، ولا بين قومية وقومية...

لكن اليهودية تلعب بنا.. ونحن ننساق، ونتحول إلى أدوات، ونتوهم أننا أعداء تلك الصهيونية..

لا والله.. ما نحن إلا أدواتٌ تنفيذية لها.

- { وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ } .

وقارنوا بين هذا النص وقوله تعالى: { وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ } .

- { وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ } أي: فيما أعطاك في هذه الدنيا.

- { الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا } والنصيبُ: القَسم، أي: لا تنسَ أنَّ رزقَك مقسومٌ لا يُزادُ فيه ولا يُنقص، فقد قسم الله لك في الأزل نصيبًا، لو خرجت أو دخلت أو صعدت أو نـزلت... لا يُزاد فيه، لكن لك الكسب والعمل، ولك الأخذُ بالسبب، فلا تتوهم أن نصيبك يُزاد فيه.

- { وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ } [القصص: 76-77].

ورفع الله سبحانه وتعالى هِمّة أهل الإيمان حتى لا يتعلّقوا بذلك المُزيَّن فقال:

- { فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ }

فانظر إلى تلك الآية: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.. } ثم اقرأ خطاب الله لأحبابه وخطابه لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم: { فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة: 55].

فالدنيا يعطيها الله سبحانه وتعالى للمؤمن ويعطيها لغير المؤمن، لكن الهداية لا يعطيها إلا للمؤمن، وقد ضرب الله سبحانه وتعالى لنا في القرآن أمثلة كثيرة، فكان من رسله من هو مَلِك مثل سليمان وداوود، وكان من رسله وأحبابه من ابتلي وصبر، فأيوب ابتلي بالمرض، ويوسف ابتلي بالسجن، ومن الرسل من قتلوا.

إذًا: الدنيا يعطيها الله سبحانه للمؤمن وغير المؤمن، فقد أعطى الله سبحانه وتعالى المُلك لسليمان وأعطاه لفرعون، وأعطى الدنيا لذي القرنين وأعطاها لقارون، وشتان بين من أمسك الدنيا في يده وكان عبدَ الله في قلبه، وبين من غرَّته الدنيا وكان من أهل الغفلة عن الله.

وقال سبحانه: { وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ، أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ } [القصص: 60-61] أي: من المسجونين المقيدين في العذاب.

وقال سبحانه:

- { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } أي: أردتم تكثير المال، وأردتم تكثير المادة، حتى شغلكم هذا التكاثر المُزيِّن وشغل قلوبكم، وبقيتم هكذا.. { حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ } .

- { كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ، كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ } [التكاثر: 1-8]

وفي هذا الموقف وهذه النقطة، يفترق أهل المادة عن أهل الإيمان، ويقف في الوسط الصنفُ المُنافِق الذي لم يصل في ثقته بالله وبالغيب إلى درجة الإيمان، فكان يلتفت بقلبه تارة إلى المادة وتارة إلى الغيب، فإذا وجد أن كفة أهل الإيمان ترجح صفَّق معهم وتبعهم ووافقهم وسار في ركبهم، وإذا وجد أن كفة أهل المادة ترجح صفَّق معهم وتبعهم ووافقهم... وبين أهل الإيمان وأهل المادة صنفٌ يوجد منه كثير.

وقال الله سبحانه:

- { سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ } الذين تخلفوا عن ركب الجهاد، وعن ركب الدعوة إلى الله في الليل والنهار، وعن حمل الرسالة، وعن تبليغ الأمانة.

- { شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا }

وقلت لشخص يحاورني: لديك فرصة في العِلم، ولديك فرصة في المعرفة، فقال: إنني مشغول بكذا وكذا.. قلت له: إنها فرصة ثمينة، فقال: لا أستطيع أن أترك الشغل، قلت: ماذا لو كُسرت رجلك؟ ماذا لو ساقوك إلى المستشفى؟ ماذا لو جاءك ملك الموت؟ أنت تكذب على نفسك.. أنت تفوِّت الفرص.. أنت أحمق لأنك تُفوِّتُ فرص قلبك، وتفوّت فرص نجاتك، وتفوّت فرص نجاحك، وتفوّت فرصةً تكون فيها من أهل رضوان الله...

- { بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا }

كنتم تتوقعون هلاك أهل الحقّ؟

كنتم تنظرون إلى أن أهل الحقّ لا يملكون القوة، وكانت قلوبكم تميل مع قوة المادة، وقلتم: ما لنا وللفقراء، وما لنا وللضعفاء..؟

جاء علي بن حاتم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكان مبهورًا بمُلك قيصر وكسرى، وكان من أثرياء العرب، فأبوه حاتم الطائي الذي شاع صيته في العرب، وكان من جلساء الملوك، فنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، هؤلاء الفقراء الذين لا يملكون شيئًا من المال... فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ما في قلبه، وأخبره أن مُلك كسرى وقيصر سيكون للإسلام، وأن المال الذي يتمتع به وينظر إليه منبهرًا سيكون عند قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

إذًا: مشكلة المصلحة التي تصرف الإنسان عن الدعوة مشكلة قديمة جديدة.

قالوا: ما لنا ولأهل حمل الرسالة، إنهم ضعفاء.. إنهم فقراء.. فلننشغل بما يرفعنا وينفعنا... لأن الذي ينفعه ويرفعه بنظره القاصر هو المُزيَّن وليس الحَسَن.

- { وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ } رأيتم هلاك الحقّ وأهله مُزيَّنًا.

{ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا } [الفتح: 11-12] كنتم بالمنطق الغيبيّ من أهل الهلاك، وغفلتم عن الحقيقة الكبرى التي وعد الله بها أهل الإيمان، وليت قلوبكم تنبّهت إليها، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يُقرر: { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } مهما ملكوا من الأموال، ومهما ملكوا من القوة والسلطان، { أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [المجادلة: 20-21]

إنهم يحاربون الله والله أقوى، والله هو القوي، والله هو العزيز.

انتظر قليلاً.. وامتلك نفسًا طويلاً.. واثبت على الحقّ ولا تلتفت.. إذا كنت واثقًا بالله وكلامه.

يقول الله سبحانه:

{ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [الأعراف: 128]

أي: التزم طريق التقوى ولا تلتفت، ولو أوذيت، ولو تحمَّلت..

واقرؤوا قوله تعالى: { فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ، لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } [آل عمران: 195-197].

واقرؤوا قوله تعالى:

- { قَدْ أَفْلَحَ } أي: نجح ونجا.
- { مَن تَزَكَّى } أي: من تطهَّر في الظاهر والباطن.
- { وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى } أي: ارتبط بربه، وكانت صلة قلبه بربه.
- { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } أي: تؤثرون الحياة الدنيا، وتعرضون عن صلة قلوبكم بالله.
- { وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } [الأعلى: 14-17].

واقرؤوا قوله تعالى، الذي هو أملُ كلِّ من يدعو إلى الله ويحمل الرسالة، ويثبت على الحقّ في طريقه:

{ وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى، وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى } [الضحى: 1-5].

اللهم ثبِّتنا على دينك.

يا مُقلِّب القلوب والأبصار ثبِّت قلوبنا على دينك، وارزقنا حفظ أمانتك، واجعلنا من أهل الثبـــات على منهاج حبيبك، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقو ل هذا القول وأستغفر الله.